خصائص الدليل اللساني.

يتميز الدليل اللساني حسب **فرديناند دوسوسير** بالخصائص الست الآتية:

- اللسان هو نظام دلائل.
- نظرية الدليل اللساني.
- الطابع الاعتباطي.
- الطابع المميز.
- التسلسل الخطي.
- التقطيع المزدوج.

1/ اللسان نظام دلائل:

اللسان نظام دلائل يتكون من مجموعة من الوحدات الدنيا، أو مجموعة من الأجزاء المؤلفة لهذا النظام اللغوي، من خلال تقابلها مع بعضها البعض. ومفهوم التقابل الذي جاء به دوسوسير يمثل جوهر هذا النظام، إلى جانب مفهوم ثان وهو مفهوم القيمة.

فلا قيمة لأي دليل لساني منعزلا ومنفردا، وقيمته تظهر بتقابله مع الدلائل اللسانية الأخرى داخل النظام، بعبارة أخرى أن الدليل اللساني لا يتحدد إلا في إطار مجموعة الدلائل الأخرى، أي من خلال العلاقات التي تربطه مع الدلائل التي تحيط به، والمشكلة بنية أو نظاما، فإذا عزلنا دليلا ما عن النظام الذي يعطيه قيمته فإننا لا نستطيع تعريفه، لأن اللسان هو نظام ترتبط جميع أجزائه بعضها ببعض وفق آلية تعرف في نظام اللغة بآلية التشابه والاختلاف، على أساس اتحاد الهويات واختلافها وفق مبدأ التقابل.

فيمكن أن تحل أي وحدة لسانية محل وحدة لسانية أخرى وفقا لمبدأ التشابه والاختلاف. وقيمة كل وحدة لسانية لا تتم إلا بتقابلها مع باقي الوحدات داخل النظام، لذا يرى دوسوسير أنه يجب مقارنتها بقيم مماثلة أو بألفاظ تكون قابلة لأن تقابلها.

واستنادا لمبدأ التقابل دائما، نجد أن وحدات لسانية مختلفة تحمل نفس القيمة وتتعدد مظاهرها المادية، بتعدد الوحدات التي يمكن أن تقابلها على أساس التشابه والاختلاف. فقيمة وحدة ما تتحدد بناءً على ما لها من علاقات واختلافات مع سائر العناصر، أما الدلالة فتتحدد انطلاقا من مظهرها المادي.

وعليه يجب النظر إلى الوحدات اللسانية (من أصوات ومفردات وجمل) ليس كوحدات منفصلة، وإنما كشكل مترابط لا تظهر قيمته إلا من خلال ذلك الترابط بين عناصره وأجزائه جميعها. واللسان يجب أن يفهم داخل تصور عام، هو النظام الذي يتضمن مفهوم الكل والعلاقة، حيث لا يمكن فهم وظيفة الأجزاء إلا في علاقتها الاختلافية مع الكل، فالأجزاء داخل النظام ليس لها معنى، ولا قيمة في حد ذاتها عندما ينظر إليها معزولة، بل قيمتها تحدد بعلاقتها مع باقي الوحدات اللسانية، فما يوجد من فكرة أو مادة صوتية في الدليل، هو أقل قيمة بالمقارنة مع ما يحيط به من دلائل أخرى.

ومن خلال العلاقات الموجودة بين الوحدات اللسانية، فإن تغيير موقع كلمة معينة في جملة ما ينتج عنه بالضرورة التغير في شكل ومعنى الجملة ككل، كما أن تبديل حرف من حروف الكلمة يترتب عليه كذلك تغيير في بنية الكلمة والمعنى الذي تدل عليه.

واللسان يتكون من عدد محدود من الحروف التي إن حذفنا إحداها اختل هذا النظام، كما أنه يتكون من عدد محدود من الأحرف والأسماء والأفعال المشكلة لقاموس هذا اللسان، والتي إن حذفنا منها لا يمكننا تشكيل بنى لغوية من دونها.

ومفهوم القيمة الذي أتى به دوسوسير تتم معالجته حسبه من خلال ثلاث زوايا:

أ/ القيمة في جانبها المفهومي.

ب/ القيمة في جانبها المادي.

ج/ قيمة الدليل اللساني ككل أو القيمة في جانبها الكامل.

أ/ القيمة في جانبها المفهومي:

بما أن اللفظة لا يمكن لها بمعزل عن الألفاظ الأخرى أن تنقل الدلالة أو المعنى، فإن مضمون هذه اللفظة أو معناها لا يتحدد فعلا إلا بالنظر إلى ما هو خارج عنها، فكل كلمة لا تكسب قيمتها إلا بالنظر إلى ما هو خارج عنها داخل النظام، (فالأشياء بأضدادها تعرف)، ونجد زعيم نظرية السياق "**فيرث firth**" (إحدى نظريات دراسة المعنى) يرى أن المعنى لا ينكشف الا من خلال تسييق الوحدة اللسانية، أي وضعها في سياقات مختلفة، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها وتحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها.

ونستنتج في هذا الجانب فكرتين أساسيتين:

- مفهوم النظام المعجمي أو مفهوم الحقل الدلالي.
- أن القيم نابعة من النظام.
- **مفهوم الحقل الدلالي:** هو مجموعة كلمات ترتبط دلالتها وتوضع تحت لفظ مشترك، مثل: حقل مفهوم الالوان، حقل مفهوم الزمن.
- **فكرة أن القيم نابعة من النظام:** أي الجانب المفهومي أو المعنوي للقيمة، يصدر فقط عن علاقات واختلافات مع الألفاظ الأخرى في داخل النظام نفسه.

ب/ القيمة في جانبها المادي:

الجانب المادي أو الصوتي المجسد في الدال، ويقوم هو الآخر على علاقات واختلافات فيما بين الأصوات، فسوسير يقول: "إن الذي يهم في اللفظة ليس الصوت في حد ذاته، وإنما الاختلافات الصوتية التي تسمح بتمييز هذه اللفظة عن غيرها، لأن الاختلافات الصوتية هي التي تحمل الدلالة". هذه الوحدات الصوتية الوظائفية أو الفونيمات (مجموع الأحرف المنطوقة) هي كيانات سالبة نسبية وتقابلية، وكل كيان لا يثبت إلا بالتقابل مع الكيانات الأخرى، وبتقابله يصبح موجبا ويؤدي معنى. فكل وحدة كما يقول اللغوي **لويس هلمسليف**" "لا تحدد نفسها بنفسها، وإنما بمجموع العلاقات التي تقيمها مع بقية وحدات اللسان".

ج/ قيمة الدليل اللساني:

القيمة في جانبها الكامل، باقتران الجانب المادي بالجانب المفهومي، أي اقتران المفاهيم والأصوات، ما يشكل لنا الدليل اللساني، وقيمته تتحدد دائما من خلال التقابل في المفاهيم والأصوات.

وخارج نطاق علم اللسان تكون وسائل الاتصال إما قائمة على نظام دلائل لسانية، وإما قائمة على نظام دلائل غير لسانية. هذه الأخيرة لم تدرس بعد وحداتها الدنيا المكونة لها بالطريقة التي درست بها الأولى، أي أنظمة الدلائل اللسانية. وهذا ما أدى باللغوي البلجيكي "**إريك بويسنس Eric Buyssens**" إلى التمييز بين أربعة أنواع من أنظمة الاتصال:

- **وسائل الإتصال المنتظمة:** وهي التي تقوم على استخدام دلائل أو وحدات قارة وثابتة. مثل اشارات المرور بأشكالها المختلفة فهي نفسها بكل مكان.
- **وسائل الإتصال غير المنتظمة:** تعتمد دلائل ورموز مختلفة لأداء معنى معين، كما هو الحال في الملصقات الاشهارية، التي تستعين بأشكال وألوان مختلفة للفت انتباه المارة، فهي تتكون من وحدات دنيا غير منتظمة تخصها بذاتها، لا نجدها في ملصقة أخرى ذاتها، أو لا تستخدم بنفس الكيفية.

وتوجد وسائل الاتصال المباشرة بالتقابل مع وسائل الاتصال غير المباشرة.

- **وسائل الإتصال المباشرة:** كما هو الحال في الاتصال اللساني، المتكلم مع المخاطب من خلال فعل الكلام دون عوائق أو حواجز.
- **وسائل الإتصال غير المباشرة:** كما هو الحال مثلا في الاتصال التلفزيوني، و**بويسنس** يرى أن هذه الأنواع ينتج عنها سيميولوجيا كاملة، تكون العلاقة فيها بين الدال والمدلول المشكل لمختلف هذه الأنظمة إما ظاهرية أو باطنية. فالعلاقة الاعتباطية عند دوسوسير يسميها **بويسنس** علاقة ظاهرية غير معللة أو غير مفسرة، كالهلال الأحمر أو الصليب الأحمر. أما العلاقة الباطنية فتقوم لما تكون هناك علاقة داخلية، أي قياسية أو تشابهية أو معللة بين شكل الإشارة (الدال) ومعناها (المدلول).

2/ نظرية الدليل اللساني:

الدليل اللساني دال ومدلول، فالصورة الصوتية أو التعبير الصوتي يمثل الدال**(signifiant)**، والدال كل ما يتعلق بالتعبير، أما ما يتعلق بالمضمون أو المفهوم أو الصورة الذهنية فيمثل المدلول**(signifié)**. **Le signe=signifiant + signifié**

والدال كيان صوتي أو تمثيل طباعي (في حال وجود الكتابة) وهو متوالية صوتية أراد لها الاستعمال الجماعي الناتج عن التعاقد أن تكون كيانا يحل محل شيء آخر، أما المدلول فهو التصور الذي نملكه عن شيء ما في العالم الخارجي وليس الشيء ذاته، أما الوجود الواقعي المادي للشيء فيمثل المرجع، وهذا الأخير ليس جزءًا من الدليل اللساني حسب دوسوسير، بخلاف غيره من الباحثين ممن اعتبروه كذلك،. فالمرجع خارج عن الكينونة اللغوية للإنسان، وإن كان من الوظائف الأساسية للغة التعبير عنه.

ومنه فالدليل اللساني وجهان، الظاهر يمثل الدال، والخفي يمثل المد**لول**، ومن ثم لا يمكن فصل المفاهيم عن الأصوات التي تنقل عن طريقها، فما تمثله الأولى (أي المفاهيم) يحيل ويستدعي في الوقت ذاته ما تمثله الثانية (الأصوات)، فالدال والمدلول مترابطان ومتحدان، وبدون الدال لا وجود للمدلول والعكس صحيح.

3/ الطابع الاعتباطي:

العلاقة بين الدال والمدلول هي من طبيعة اعتباطية غير طبيعية، أي أنها اصطلاحية أو اتفاقية، وهي نتيجة التعاقد بين أعضاء الجماعة اللغوية، فالاعتباطية هي غياب منطق عقلي يبرر الاحالة من دال إلى مدلول، فلا وجود لعناصر داخل الدال تجعلنا ننتقل آليا

إلى المدلول، والرابط بين هذين الكيانين يخضع للتواضع والعرف والتعاقد، واختيار الأصوات لا تفرضه مقتضيات المعنى، والدليل على ذلك تعدد الدلالات أو التسميات فنقول مثلا: أخت، sœur، syster، فبالإمكان التمثيل لها بأية متوالية صوتية ولا شيء يمنع – سوى قوة العرف – من اسناد هذه المتوالية الصوتية إلى هذا التصور الذهني.

ومبدأ الاعتباطية ليس خاصا بالعلامات اللسانية فحسب، بل يمتد أيضا إلى العلامات غير اللسانية أو السيميولوجية، لكن ليس بصورة مطلقة، فإذا كان الدليل اللساني في علم اللسان اعتباطيا، فإن الأمر يختلف عندما يتعلق بالصور البصرية والصوتية، مثال ذلك الصورة الفوتوغرافية، والصورة المتحركة، والضجيج،.. حيث أن علاقتها بالواقع ليست كلها اعتباطية، وقد تكون جزئيا أو كليا معللة.

4/ التسلسل الخطي:

الدليل اللساني ذو طابع متلاحق، يرسل ويستقبل ليس في آن واحد، وإنما يتم ذلك بصفة متعاقبة على المحور الزمني، وهذا راجع إلى الجوهر الصوتي الذي يقوم عليه نظام اللغة، وبدونه لن يكون هناك مبرر لهذا التسلسل الخطي، فوحدتين لسانيتين لا تحتلان الموقع نفسه في مدرج الكلام، وقيمتهما تكمن في تعاقبهما داخل هذا المدرج، كما ينبغي أن يكون موقعها مميزا ومغيرا للمعنى، فالمعنى ونعني هنا المعنى المسموع موجود في الزمن، وذلك الزمن يمكن أن يقاس باعتباره مؤلفا من خطوط، فلا نستطيع أن نقول كلمتين في نفس الوقت، بل نقول واحدة وبعدها الأخرى. وخطية الدال تعود إلى الطابع النطقي الذي تتميز به اللغة الطبيعية، فالملفوظات تنجز حتما وفق الزمن، وتدرك بالسمع عبر تتابعها، على عكس الوسائل التعبيرية المرئية كالرسم مثلا، فعلى الرغم من أن الفنان يرسم لوحته مراعيا انتظام عناصرها، لكن المتأمل أو الناظر إليها يدرك الرسالة معتبرا إياها كلا لا يتجزأ.

5/ الطابع المميز:

بما أن اللسان نظام من الدلائل المحدودة العدد، فإن هذه الدلائل لا تكون إلا وحدات مميزة أو مجزأة، أي يتميز بعضها عن بعض، وتكون قابلة للاستبدال. تكون العلاقة بين حرفي "ر" و"غ" في اللغة العربية علاقة مميزة لأن استبدال حرف "غ" بحرف "ر" يؤدي إلى اختلاف في معنى الكلمات مثل غاية. راية، أما في اللغة الفرنسية فتكون العلاقة بين هذين الحرفين مجرد علاقة تبادلية أو تعاقبية، لأن الاختلاف بينهما لهجي فقط وليس مميزا، ومن ثم فإن الاستبدال بينهما لا يكون له انعكاس على الدلالة. Père=Père بير = بيغ.

وهكذا فالحروف التي تؤلف الكلمة هي وحدات مميزة، لأن كل ابدال في حرف ينجر عنه تغيير جوهري في هيئة الكلمة، والكلمات بدورها وحدات مميزة، فإبدال كلمة بأخرى هو الآخر يغير المعنى جذريا.

ومنه فالدليل المميز هو الدليل الذي لا تكمن قيمته إلا اذا أثبت وجوده في النظام، بتقابله مع بقية الدلائل الأخرى التي تكون بالضرورة مغايرة وتفاضلية.

6/ التقطيع المزدوج:

تعد صفة التقطيع المزدوج التي وضعها "**أندريه مارتيني**" الصفة التي تميز الألسن البشرية عن بقية أنظمة الاتصال الأخرى، ويقصد بها تجزئة مدرج الكلام إلى مقاطع صوتية، أو تجزئة مدرج الدلالات إلى وحدات ذات معنى.

- يكون التقطيع الأول عندما يجزأ الملفوظ اللغوي إلى وحدات دنيا دالة (أي إلى كلمات) تدعى وحدات دالة (مورفيمات)، مثل: الامتحانات: ال/امتحان/ات.
- أما التقطيع الثاني فيتم بتجزئة العنصر الدال بدوره إلى وحدات متعاقبة أصغر، ومجردة من المعنى، أي إلى الوحدات المميزة المتجسدة من خلال الوحدات الصوتية الوظائفية (أي الحروف أو الفونيمات)، مثل: الامتحانات: ا ل م ت ح ا ن ا ت. وكل من هذه الوحدات يمكن أن تستبدل بوحدات أخرى في المحيط نفسه، أو تقترن بوحدات أخرى كي تؤلف وحدات دالة مختلفة.